استئصال الكوليرا

اذا تمّ شيءٌ بدا نقصهُ توقّع زوالاً اذا قيل تمّ

لم يهتمّ العلماء ورجال السياسة والناس اجمع بامر الكوليرا (الهواء الاصفر) كما اهتموا بهِ في هذه السنين لا لان الكوليرا كانت اوسع انتشارًا واشد فتكًا مما كانت قبلاً بل لانها توالت سنة بعد أُخرى فكان العلماء في سعة من الوقت لدرس خواصها وكيفيّة فعلها. ولم تنتشر كالسيل الجارف الذي يهدم المنازل الضعيفة والمتينة على حدٍّ سوى او كالنار التي تشبُّ في المدن فتلتهم كل ما حولها ويضيق الناس بها ذرعًا بل اتت على درجات مختلفة من القوة والضعف فثبت ما ظنهُ العلماء قبلاً من وسائط انتشارها وطُرُق الوقاية منها وتحقق القول الذي قالهُ بعضهم من انها "وباء قَدَرٌ ينتشر بواسطة الماء القذر" ولذلك عقدوا النيّة على ان يجتمعوا في مؤتمر عامّ بمدينة جنيفا ليبحثوا في الطرق التي تمنع هذا الوباء من الانتشار وتستأصل شأفتهُ من بلاد الهند نفسها. ويظهر لنا انهُ قد تمّ فعل هذا الوباء وبدا نقصهُ وسيزول تمامًا او تكسر شوكتهُ حتى لا يخشى شرُّهُ

وقد كتب الدكتور ارنست هرث محرّر السجل الطبي ورئيس الجمعيّة الصحيّة الوطنيّة ببلاد الانكليز مقالةً مسهبةً في كيفيّة انتشار الكوليرا في بعض الممالك رأينا ان نأتي على خلاصتها في هذه المقالة. قال انهُ قد ثبت لهُ منذ سنة ١٨٦٦ ان الكوليرا التي انتشرت في شرقي مدينة لندن حينئذٍ كان سببها الماء الوارد الى تلك الجهة من النهر المسمّى نهر لي اي انهُ طرحت مبرزات رجل مصاب بالكوليرا في ذلك النهر فأُصيب بها كثيرون من الذين استقوا منهُ. ومن ثمّ ثبت لهُ ان الماء الملوث بمبرزات المصابين بالكوليرا هو العلة الاولى لكل الاوبئة التي انتشرت في اسيا واوربا. وانهُ اذا ابطل الناس الشرب من الماء الملوث بجراثيم الكوليرا بطل الوباء من نفسهِ وقد تحقق هذه النتائج كلها مدة الثلاثين سنة الماضية. وهاك ما ثبت بالاختبار في كلٍّ من الممالك التالية

انكلترا

الوباء الاول — ظهرت الكوليرا في انكلترا في شهر اكتوبر (ت ١) من شهور سنة ١٨٣١ وعاثت فيها الى صيف سنة ١٨٣٣. وكان ظهورها فجائيًا وانتشارها سريعًا فثبت عند الجمهور انها قصاص الهي لا يمكن مقاومتهُ بالوسائط البشريّة. ولكن ثبت للاطباء ان لها علاقة شديدة بالمساكين والعائشين في اماكن قذرة او كثيرة الازدحام.

ولم ينتبه الانتباه الكافي الى علاقتها بالماء ولكنَّ ماء لندن كان حينئذٍ في اسوإ حال من حيث الفساد والاتصال بالمراحيض. وقد اثبت الدكتور سنو بعد ذلك انهُ كان للماء الملوث باقذار المصابين بالكوليرا اليد الطولى في انتشارها

الوباء الثاني — انتشرت الكوليرا مرة اخرى انتشارًا عظيمًا في انكلترا سنة ١٨٤٨ ولم تنتهِ سنة ١٨٤٩ حتى قتلت من اهلها ٥٣٢٩٣ نفسًا. وحينئذٍ اثبت الدكتور سنو ما اشرنا اليهِ آنفًا وهو ان سبب انتشارها انصباب الاقذار من المراحيض الى الانهار والآبار التي يستقي منها الناس. وارتأى ان الكوليرا وردت الى انكلترا من مدينة همبرج بواسطة اناس مصابين بها وان مبرزاتهم وصلت الى بعض الآبار والى نهر التمس ونهر لي فانتشرت العدوى بواسطتها ووصلت الى المستقين منها

الوباء الثالث — وانتشرت الكوليرا مرة ثالثة في حي من احياء لندن سنة ١٨٥٤ بقرب بئر يستقي منها الناس وكان انتشارها في ذلك الحي بطيئًا جدًّا في اول الامر فلم يمت بها في شهر اوغسطس كلهِ سوى ٧٨ نفسًا ثم اشتدَّ فتكها فمات بها في الاسبوع الاول من شهر سبتمبر ٢٨٧ نفسًا وفي الاسبوع الذي بعدهُ ٦٧ نفسًا ثم زال الوباء من ذلك الحي بسرعة كما انتشر فيهِ بسرعة وبلغ عدد الوفيات ٧٠٠ نفس من نحو ٣٢ الفًا من السكان. ونُدِب الدكتور سنو للبحث عن سبب انتشار الكوليرا هناك فوجد ان مرحاضًا من المراحيض متصلٌ بالبئر وان الوفاة الاولى بالكوليرا حدثت في المنزل الذي فيهِ ذلك المرحاض وان الكوليرا فتكت بالذين كانوا يشربون من تلك البئر ولم تفتك بغيرهم

الوباء الرابع — وظهرت الكوليرا ايضًا في بلاد الانكليز سنة ١٨٦٦ وفتكت باربعة آلاف من السكان في شرقي لندن في برهة وجيزة جدًّا فبحث الدكتور ارنست هرت عن سبب ذلك فوجد ان شخصًا أُصيب بالكوليرا وطرحت مبرزاتهُ في مرحاض متصل بالنهر الذي يستقي منهُ اهالي ذلك الجانب من مدينة لندن واتفق ان آلات شركة الماء اختلت في ذلك الحين فاضطرت ان ترسل الى شرقي لندن ماء غير مرشَّح بضعة ايام وكان الماء ملوثًا بمبرزات ذلك الانسان فمات بهِ اربعة آلاف من السكان. وحدث مثل ذلك في اماكن أُخرى اي ان الناس استقوا من ماء ملوث بمبرزات المصابين بالكوليرا فانتشرت الكوليرا بينهم

مصر

وردت الكوليرا على مصر مرارًا منذ سنة ١٨٣١ لكن الاطباء لم يصفوها جيدًا قبل

سنة ١٨٨٣ وقد ظهرت حينئذٍ في دمياط في شهر يونيو (حزيران) وامتدت الى اماكن كثيرة حتى بلغت الجيزة والقاهرة في السادس عشر من شهر يوليو ومات بها ٥٨٥١١ نفساً من سكان القطر المصري وعددهم اقل من سبعة ملايين نفس . وقد اختلف الباحثون في كيفيَّة ظهورها في دمياط والراجح انها وصلت اليها من مكان آخر ولكن حالة ماء الشرب في القطر المصري مستكملة الشروط اللازمة لانتشار هذا الوباء لان الاهالي يستقون من ترع وبرك يسهل اتصال الاقذار بها من المراحيض

فرنسا

اشتهرت مرسيليا بالكوليرا في السنين الاخيرة فحدثت فيها حوادث قليلة سنة ١٨٨٣ ولكن لم يشتهر امرها. ثم مات فيها بالكوليرا ١٧٧٧ نفساً سنة ١٨٨٤ و١٠٣٩ نفساً سنة ١٨٨٥ و٩٠ نفساً فقط في السنة الماضية . وفي شهر فبراير الماضي مات فيها نحو مئة نفس بالكوليرا . وهناك ادلة قاطعة على ان انتشار الكوليرا فيها مسبَّب عن تلوُّث ماء النهر هوڤون بالمواد الكوليريَّة . وامتدت الكوليرا من مرسيليا في جنوب فرنسا الى الجنوب الغربي وكان للماء اليد الطولى في امتدادها كما قرَّر الدكتور بروست

وقد انشأ الدكتور توانو الباريسي رسالة مسهبة في الكوليرا التي انتشرت في فرنسا سنة ١٨٨٤ واثبت ان انتشارها كان بواسطة الناس الملوثين بموادها وبواسطة مجاري المياه التي تلوثت بمبرزات المصابين بها او التي غسلت ثيابهم فيها . والكوليرا التي فشت في غربي باريس في العام الماضي ظهرت اولاً في سجن غربي باريس وانتشرت في ما جاورهُ ولم تنتهِ السنة حتى مات بها ٩٧٧ نفساً . والمرجح ان سبب انتشارها شرب الذين أُصيبوا بها من ماء السين بعد ان تلوث بمفرزات الذي أُصيب بها اولاً او بعد ان غُسلت ثيابهُ فيها

ايطاليا

دخلت الكوليرا ايطاليا سنة ١٨٨٤ من مرسيليا وطولون وامتدَّت فيها بواسطة العمَّال الذين هربوا من وجهها ولم تنتهِ السنة حتى أُصيب بها سبعة وعشرون الفاً مات منهم اربعة عشر الفاً . واشتدَّ فتكها في نابلي بعد ان دخلتها من مرسيليا في شهر اغسطس (آب) وبلغ عدد من أُصيب بها من ٢٣ اغسطس الى ٩ نوفمبر ١٢٣٤٥ نفساً توفي منهم ٧٠٨٦ . وكان ماء الشرب فيها حينئذٍ معرَّضاً للتلوُّث بالمبرزات فأُجري اليها ماء نقي في العام التالي من ينبوع بعيد فلم تعُد الكوليرا تنتشر فيها مع وجودها في جوارها .

ولكن عرض لمجاري هذا الماء عارض سنة ١٨٨٨ فعاد السكان الى شرب الماء الاول وللحال انتشرت الكوليرا فيها ثم اصلحت مجاري الماء التي فزالت الكوليرا حالاً

ووصلت الكوليرا الى جنوى في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٤ وبقيت حوادثها قليلة الى الحادي والعشرين من شهر سبتمبر وحينئذٍ اشتدّت وطأتها بغتةً واصابت الاغنياء والفقراء على حدٍ سوى . والماء يرد الى جنوى بثلاث قنوات فوُجد لدى البحث ان الذين أُصيبوا بالكوليرا كانوا يشربون من واحدة من هذه القنوات وان جماعة من العمال نزلوا عند نهر سكريفيا الذي ترد منهُ المياه الى هذه القناة وكانت الكوليرا فاشية فيهم فغسلوا ثيابهم في ذلك النهر ولوّثوهُ بها فسُدّت تلك القناة حالاً وللحال اخذت الكوليرا في الزوال

اسبانيا

دخلت الكوليرا اسبانيا سنة ١٨٨٤ رغماً عن الكورنتينا وكنت فيها مدة الشتاء ثم فشت في الربيع التالي ولم تنتهِ سنة ١٨٨٥ حتى أُصيب بها ٣٣٨٦٨٥ نفساً مات منهم ١١٩٦٢٤ نفساً مع انها لم تنتشر في بلاد اسبانيا كلها بل في ولايات يبلغ عدد سكانها ستة ملايين و ٥٧٥ الف نفس . ومعلوم ان التدابير الصحيّة مهملة تمام الاهمال في تلك البلاد والاقذار تنصبُّ في الانهار والمياه التي يستقي منها السكان . وقد بحث بعضهم عن علة انتشارها في اسبانيا فوجد انها انتشرت بواسطة المياه وانها لم تنتشر او لم تتمكن في المدن التي مياهها نقيّة او التي اتخذت فيها التدابير الوافية لماء الشرب من التلوّث باقذار المصابين . وعلى هذه الصورة اصيبت طليطلة واشبيلية وملقة ومدريد ولم تصب سرقوسة وغرناطة وبلنسية الاّ قليلاً

روسيا

لم تزل الكوليرا فاشية في بلاد الروس وانتشارها فيها مؤيّد لما حُقّق من امرها سابقاً وهو انها تنتشر بواسطة المياه القذرة . ولكن حدثت في بلاد تركستان حادثة حريّة بالذكر وهي ان الكوليرا زالت من مدينة اشباد قبل شهر اغسطس سنة ١٨٩٢ ففرح الاهلون بذلك فرحاً عظيماً وأولم الوالي وليمة عامة تذكاراً لزوالها فلم يمضِ اربع وعشرون ساعة على هذه الوليمة حتى مات نصف المدعوين اليها بالكوليرا ولم يمضِ ٤٨ ساعة حتى بلغ عدد الوفيات بها ١٣٠٠ نفس مع ان عدد اهل المدينة ١٣ الفاً اي ان عشرهم مات بالكوليرا في مدة ثمانٍ واربعون ساعة . ووجد لدى البحث انهم شربوا من

جدول صغير ثم في قرية من قرى التركمان وكانت الكوليرا قد فشت فيها قبل ذلك باربعة ايام

همبرج

اعلنت الحكومة وجود الكوليرا في همبرج في الحادي والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨٩٢ مع انها كانت في المدينة قبل ذلك بايام . وهناك ثلاث مدن وهي همبرج والتونا ووندسبك وفي الاخيرة ٢٠٥٧١ نفساً مات منهم بالكوليرا ٤٣ نفساً اي اثنان في الالف وفي التونا ١٧٣٢٧٩ نفساً مات منهم بالكوليرا ٣٢٨ اي اثنان وثلث في الالف . وفي همبرج ٦٢٢٥٣٠ مات منهم ٧٦١١ اي ١٢ وخمس في الالف . اما وندسبك التي كان فعل الكوليرا فيها قليلاً فيستقي اهاليها من مياه الينابيع . والتونا وهمبرج يستقي اهاليهما من مياه نهر الب ولكن ماءهُ حيث يستقي اهالي التونا انقى منهُ حيث يستقي اهالي همبرج وقد اتخذت التدابير القويَّة الآن لتنقية المياه التي يستقي منها اهالي همبرج وستوقى الكوليرا بواسطة ذلك

الهند

المشهور ان الهند وطن الكوليرا ففيها تنشأ ومنها تنتشر وهي مستقرَّة في بلاد واسعة منها وليس ذلك لاسباب لا تعلم او لا يمكن ملافاتها كما يظن البعض بل كل اسبابها هناك معلومة وكلها ممَّا يمكن ملافاتهُ وسيتلاشى مع الزمان . فان الماء مهد الكوليرا وهو الذي يوصلها من مكان الى آخر فلو أُتي بالماء النقي الى كل مدينة وقرية وكفر في بلاد الهند لزالت الكوليرا منها تماماً

وقد بين الدكتور شمسن مدير الصحة في كلكتا ان الذين في بيوتهم ماء غزير نقي وهم الاوربيون واغنياء الاهالي لا تفشو الكوليرا بينهم ولا يصاب بها منهم الاَّ افراد قلائل جدًّا لاسباب معلومة . واما جمهور الاهالي الذين يعتمدون على الحياض فتفشو فيهم الكوليرا كلما تلوَّث حوض منها ببرزات شخص مصاب بها . ومعلوم ان الاهلين هناك يغتسلون ويغسلون ثيابهم وامتعتهم في الحوض ويشربون منهُ ايضاً لانهُ ليس عندهم ماء آخر ولذلك وجب ان تبذل الهمة في تكثير المياه وحفظها من التلوُّث ببرزات المصابين

وكانت الكوليرا تفشو كل سنة في مدراس وتفتك بالاهالي فتكاً ذريعاً ولكن أُتي اليها بمياه نقيَّة من التلال الحمراء سنة ١٨٧٢ فاستئصلت الكوليرا منها فعلاً . وهذا شأن بوندشري وغوبلبور ونغبور ومدن أُخرى وُقيت من الكوليرا بعد ان أُتي اليها بماء نقي يستقي منهُ اهاليها

ولحجاج الهنود اعظم دخل في انتشار الكوليرا في بلاد الهند فانهم مضطرون بحسب شعائر الديانة الهندية ان يغتسلوا ويشربوا من الانهار والحياض المقدسة عندهم

وقد خفت وطأة الكوليرا في بلاد الهند بعد ان بذلت الهمة في اصلاح ماء الشرب واحوال الاهلين عموماً ولكن الحكومة الانكليزية لم تزل مطالبة باتمام هذا الاصلاح حتى تستأصل شأفة الكوليرا من بلاد الهند كلها فتنجو ممالك الارض من شرها لان الكورنتينا لا تكفي لوقايتها

هذا ويظهر لنا مما يكتبهُ الكتّاب الاوربيون الآن في هذا البحث ولاسيما الانكليز منهم ان الآراء تكاد تجمع على ان الكوليرا وباء يمكن استئصالهُ من وطنهِ الاصلي بواسطة اجراء المياه النقية الغزيرة الى كل مدن الهند وان ذلك يجب ان يتناول جميع البلدان والممالك ولا تقتصر نتيجتهُ على الوقاية من الكوليرا بل تتناول الوقاية من امراض واوبئة كثيرة مما ثبت انهُ ينتقل بواسطة المياه . وان الحكومات الاوربية قد اخذت تعمل بذلك فلم تفتك الكوليرا بمدنها هذا العام كما كانت تفتك بها قبلاً . وستزيد اهتماماً باصلاح المياه في كل مدنها . وهذا شأن حكومة الهند ايضاً وعساها ان تنشئ ادارة خاصة بالصحة تتولى الاهتمام بالشؤون الصحية في البلاد كلها ويكون غرضها الاول منع الكوليرا من الخروج من بلاد الهند واستئصال شأفتها من البلاد نفسها

العمران والنقدان الكريمان

اطلعنا على مقالة مسهبة لحضرة الشريف بنوّير حاكم ولاية اوريغون من الولايات المتحدة اثبت فيها ان العمران يزيد ويقلّ او يرتقي ويتقهقر بحسب زيادة الذهب والفضة وقلتها . ومما قالهُ في هذا الصدد انهُ لما كثر النقدان الكريمان في عصر الاسكندر المكدوني وما بعدهُ الى بداءة العصر المسيحي ارتقى العمران رويداً رويداً حتى بلغ ارقاهُ في بداءة العصر المسيحي وكانت قيمة النقود الذهبية والفضية في المملكة الرومانية في بداءة العصر المسيحي اي في اوج العمران الروماني ٣٦٠ مليوناً من الجنيهات . ثم نفد الذهب والفضة من مناجم اسبانيا وبلاد اليونان فقلت النقود رويداً رويداً وتقهقر العمران بقلتها مدة الف وخمس مئة عام حتى بلغ التقهقر اشدهُ حينما وُلد كولمبس مكتشف اميركا . وكانت قيمة النقود الذهبية والفضية في كل اوربا حينئذٍ اقل من اربعين مليوناً من الجنيهات .